

# موهبة استثنائية صنعت ظاهرة

## سبهان آدم

### مربي الوحوش التي غيرت عالم الرسم

فاروق يوسف  
كاتب عراقي



عُرف المحترف الفني السوري بانضباطه من خلال التزامه بقوانين صارمة، حتى المتشددون الكبار من أمثال لؤي كيالي ومحمود حماد وفاتح المدرس كانوا حريصين على أن تنسج صرخاتهم المتعددة مع إيقاعهم الذي ضم أطرافاً واسعة من الأساليب والتقنيات التي كان يجمع ما بينها إخلاصاً للحرفة بكل ما تنطوي عليه من أسس ثابتة.



#### مصير كائناته الغريبة

تلك الظاهرة لا تزال تقع خارج المحترف الفني السوري بالرغم من أنها تخطته وصارت تقدمه على مستوى عالمي. فعقدت أن آدم ليس ابناً للفن السوري كما هو في قوالبه لا تزال قائمة. ذلك فإن الفتن الذي جاء إلى دمشق وحيدا لا يزال يعاني من الوحدة، بالرغم من أن شهرته اكتسحت الأفاق وصارت صالات العرض تتنافس على تبنيه بسبب ارتفاع أسعار أعماله.

ليس صحيحاً ما يُشاع من أن آدم حضر إلى الفن بالموهبة الفطرية وحدها. فالفنان الذي علم نفسه بنفسه جاء إلى دمشق وفي أعماقه مفهوم مختلف للفن هو حصيلة ثقافة فنية مضادة، كانت تقف وراء ذائقته المتعددة على ما هو سائد. وهو ما صار واضحاً بعد أن أقام عشرات المعارض لأعماله وبعد أن صار صوته مسموعاً.

لقد أنصت آدم لصوته. هذا صحيح. غير أن الصحيح أيضاً أنه أنصت إلى الأصوات التي تشبه صوته في العالم. وهنا تقع أوجه الشبه بين تجربته وتجارب عدد من الفنانين العصاميين الذين شقوا طريقهم إلى الشهرة في العالم وفي مقدمتهم الأميركي باسكيات.

خطيئة آدم أنه لم يكن ذلك الابن المدلل للمحترف الفني السوري. فهو لم يتعلم الرسم في مدارس دمشق ولم يقلد رساما سوريا ولم يحب رسومه من خلال وحدات يستعيرها من التراث الشعبي ولم يكن خائفاً من التعريف بتجربته الفنية باعتبارها صنعة عزلة الغاتنة.

ومثلما أتى آدم من خارج المحترف الفني السوري فقد أتى دعمه وتشجيعه والثقة بتجربته الفنية من خارج ذلك المحترف. كان المفكر الراحل أنطوان مقدسي سنده الأول الذي ساعده على إقامة معرضه الشخصي الأول في المركز الثقافي الفرنسي بدمشق. يومها التفت إليه البعض وصار الحديث ممكناً عن الشاب الذي أطاح بالوصفات الفنية الجاهزة.

كان آدم ينتظر تلك الفرصة لينطلق مثل صاروخ عابر للقارات. غزرته في الإنتاج وتنوع أساليبه ووحشية موضوعاته وحدائه تقنياته، كلها أمور ساعدت على انتشار فنه والإقبال عليه من قبل صالات العرض المحلية والعربية والعالمية. بحيث صار عبر سنوات قليلة اسماً مشهوراً بل تحول إلى ظاهرة فنية فريدة من نوعها.

أثبت آدم من خلال نجاح تجربته أن الاختلاف هو وسيلة الفن الحي لصنع مستقبل أفضل لكائناته، المنتجة والمرسومة على حد سواء. فالكائنات التي رسمها صارت جزءاً من الواقع ومن ذاكرة الفن كما هي كائنات فاتح المدرس ومروان قصاب باشي.

#### الإنجاز صانع الشهرة

ولد سبهان حسين محمد، وهو اسمه الحقيقي، عام 1973 في الحسكة شمالي سوريا. لم يتعلم الرسم مدرسياً وغادر المدرسة بعد أن أنهى المرحلة الإعدادية. في العام 1989 أقام معرضه الشخصي الأول في الحسكة، غير أنه يعتبر المعرض الذي أقامه في المركز الثقافي الألماني "غوته" بدمشق عام 1995 هو معرضه الأول. ذلك المعرض وضعه في مواجهة الوسط الفني الذي رفض الاعتراف به ونبذ. يومها كان آدم يكتب الشعر، غير أنه وجد نفسه في الرسم وترك الشعر.

منذ البدء تميز آدم بغزارة إنتاجه فهو يعمل حوالي عشرين ساعة في اليوم لذلك كثرت معارضه التي جلبت له الشهرة خارج سوريا. بقوة تلك الشهرة فرض وجوده على المشهد الفني السوري.

آدم ظاهرة فيها الكثير من الغرابة والاختلاف والاستثناء. من ذلك أنه أقام

عام 2010 معرضاً استعادياً لأعماله التي أنجزها ما بين سنتي 1996 و2009. تلك تجربة لا يقدم عليها سوى فنانين كبار "في السن والقيمة". وهو الشرط الذي قفز عليه آدم. لا لشيء إلا لأنه ينظر إلى تجربته الفنية بطريقة مختلفة. فهو فنان عالمي. ذلك أمر مؤكد. أما أسعار لوحاته العالية فإنها تضعه في مصاف فنانين عالميين، الكثير منهم موتى. وإذا ما كان الشاعر السوري الكبير أدونيس قد كتب مقدمة الكتاب الأول الذي صدر عن تجربته، فإن نقاداً عالميين مهمين كتبوا عن تجربته مقالات كثيرة في الصحف العالمية.

#### في غرفة «المسوخ»

أقام آدم أكثر من سبعين معرضاً، لم يفشل واحد منها في اجتذاب المشاهدين والمقتنين على حد سواء. لذلك فإنه يتعامل مع السوق بطريقة احترافية

بحسده عليها الجميع. وهو في ذلك إنما يعتبر حدثاً استثنائياً في تاريخ الحركة التشكيلية العربية.

يقول آدم "إن الكائن في لوحتي غير مؤد، مشكلته مع نفسه فقط وليست مع الآخر. والتشوه في الكائنات يعبر عن أزمة الكائن البشري ومصيره المجهول" وهو في ذلك إنما يعيدنا إلى غريغوري سامسا بطل فرانتس كافكا في روايته "المسوخ".

"كائنات العزلة" كما يسميها تدور كلها في فضاء غرفة سامسا المغلقة التي أحدثت حلاً عظيماً في طريقة النظر إلى الإنسان في الرواية الحديثة. وهو ما استلهمه آدم تشكلياً حين جمع بين مؤثرات بصرية استقاهها من تجارب فنانين عرب وعالميين سبقوه، فكانت لوحته تطويراً لما أدهشه في تلك التجارب التي لا يمكن العثور على شيء منها في أعماله بعد أن نجح في صهرها وإدابتها وإعادة تشكيلها. آدم فنان



**خطيئة آدم أنه لم يكن ذلك الابن المدلل للمحترف الفني السوري. فهو لم يتعلم الرسم في مدارس دمشق ولم يقلد رساما سوريا ولم يحب رسومه من خلال وحدات يستعيرها من التراث الشعبي**

ماكراً. منذ البدء كان من الصعب عليه البقاء في لحظة تلصص. أما الآن فكل شيء ينسب له. إنه مبتكر حياة، تنبعث تفاصيلها من شارع العابد بدمشق حيث يقيم لتصل إلى العالم مباشرة محمولة على جناحي شهرة رسامها.

